

نحو منهج جديد للتعليم المسيحي

تماشياً مع هندسة جديدة لتطوير المناهج الرسمية في لبنان

د. أنطوان طعمة

مقدمة : تربية الإنسان، كل الإنسان على قيم الإنسانية المنفتحة على البعد الروحي

في الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني 2015، ولمناسبة مرور خمسين سنة على القرار المجمعى " في التربية " استقبل قداسة البابا فرنسيس المشاركين في مؤتمر نظّمه مجمع التربية الكاثوليكية تحت عنوان " التربية اليوم وغداً. شغف يتجدّد .. في هذه المقابلة قال قداسته: " التربية هي إدخال الشخص في ملء الحقيقة، فلا يمكننا التحدّث عن تربية كاثوليكية بدون التحدّث عن الإنسانية، إذ إن الهوية الكاثوليكية هي الله الذي صار بشراً" .. ويضيف قداسته: "التربية المسيحية ليست التعليم المسيحي وحسب، إنما هي تربية الأطفال والشباب على القيم الإنسانية بملئها وبجميع أشكالها. وأحد هذه الأشكال هو التسامي (la transcendence). ويدعو قداسته الى كسر قيود الانغلاق للانفتاح على الله والآخر المختلف. يقول: "الإنغلاق لا يفيد التربية ". التربية هدم للجدران العازلة ومدّ جسور التلاقي.

وفي العام 2015 عينه، في مطبعة المركز التربوي سن الفيل، بدأنا ورشات تربوية نظّمها المركز التربوي بقيادة رئيسه د. ندى عويجان: في 20 أيار 2015 ورشة أولى، ثم في 27 و 28 و 29 تشرين الأول 2015 ورشة ثانية، على مدى ثلاثة أيام (بفارق شهر فقط أو خمسة أسابيع)، بمشاركة فعاليات تربوية من القطاعين الرسمي والخاص لتطوير المناهج التربوية اللبنانية. أكتفي في هذا السياق بمقطع من التقرير حول الورشة الأولى، فيه توضيح للمبادئ التي استند إليها تطوير المناهج، وهذه المبادئ " تنطلق من تصوّر للإنسان كشخص تميّز بقيمة نبيلة، ويحمل في جوهره توقفاً إلى الخير والحق والجمال. كما نرى من الضروري الالتزام بتراث لبنان الروحي، النابع من الرسائل السماوية، والمتمسك بالقيم والأخلاق الإنسانية، وبالمخزون التاريخي والحضاري للمجتمع اللبناني، وذلك بهدف تنمية التلميذ، كإنسان عاقل، حرّ وكريم، مفكّر ومبدع، يتمتع بحسّ وفكر نقديين، وكمواطن مؤمن بلبنان ومركزاته، يتمتع بحقوقه الكاملة، ويلتزم بواجباته الإنسانية والقانونية، في إطار مجتمع ديمقراطي، حرّ، يجمع بين الأصالة والحدّثة، وبين التنوّع والوحدة، بما يجسّد مفهوم المواطنة فكراً وممارسة". وحرص التقرير على تأكيد مبادئ نختار منها : اعتبار التربية من أولويات العمل الوطني... واعتبار التعليم قطاعاً منتجاً... واعتماد مبدأ الزامية التعليم ومجانيته وتطبيقه في المرحلة الأساسية".

من هذين المقطعين المتزامنين والمتلاقيين اخترت الدخول إلى مساهمتي في هذا المؤتمر النوعي السنوي الذي تنظّمه المدارس الكاثوليكية في مثل هذا الحضور المهيب الذي يشيع فينا أيضاً من الاعتزاز بالانتماء الكنسي والبركة وفرح المعرفة. وأعرب عن

سعادتي وتشرفي بالمشاركة فيه لأنني أعتبر المدارس الكاثوليكية عائلتي، وبيتي الذي هو بمنازل كثيرة، كما لاحظتم، ولا شك، من تقديم مديرة الندوة لي.

- لمداخلتي عنوان رئيس واحد: **نحو منهج جديد للتعليم المسيحي تماشياً مع تطوير المناهج اللبنانية الرسمية: تحديات وتمنيات، وهو يحتوي على عناوين فرعية ثلاثة:**
- 1- **مرتكزات المنهج المطور وعناصره ومحتواه-**
 - 2- **طرائق التعلّم وأساليب التقويم -**
 - 3 - **مستلزمات ما قبل التطوير ومستلزمات التنفيذ والتطبيق.**

وأحرص على الإشارة الى أنني لست ناطقاً رسمياً باسم المركز التربوي، بل بصفتي مستشاراً وخبيراً وشريكاً في عملية تطوير المناهج، ولربما شاهدنا لهذا جهد نوعي كبير يُبذل في ورشات تحضيرية لم تكتسب بعد صفة نهائية رسمية، بل هي في الطريق الى ذلك.

1- **مرتكزات المنهج المطور وعناصره ومحتواه**

إذا كانت الكنيسة "أماً ومعلمة" فالمدرسة المسيحية الكاثوليكية، في هويتها وعلّة وجودها، مؤتمنة على تعليم مسيحي كنسي ينطلق من رؤية ورسالة هما أبعد من التعليم المسيحي كما قال قداسة البابا فرنسيس، لأن هدفهما إنماء الإنسان، كلّ الإنسان، في انفتاح على الروحي والإلهي، الإنسان ببعديه التجسدي والمتسامي، على صورة يسوع المسيح الإله- الحق والإنسان-الحق. وقد وكلّ الله إلى الكنيسة وإلى المدرسة "الحفاظ على وديعة الإيمان". وكم نتمنى أن يبني هذا المنهج الجديد بروح فرح الانجيل وهو البشرى السارة، وفرح الحب والانفتاح على رحمة الله ومغفرته بالتوبة وارتداد القلب. لا بدّ لصياغة مثل هذا المنهج من لجنة خبراء تعمل بمنهجية، وهمّ كنسي، على هندسة هذا المنهج بكل عناصره ومكوناته ومستلزماته. بالطبع نعرف أن المنهج أبعد وأشمل وأكثر تركيباً وتعقيداً من كتاب التعليم المسيحي الذي ليس سوى ترجمة للمنهج، وأداة من أدوات ترجمته وتحقيقه.

وتبدأ لجنة صياغة المنهج من الجواب عن السؤال: أي متعلّم مؤمن كاثوليكي نريد اليوم- هنا في هذا المدى الأنطاكي المقيم والمننشر، والمشرقي بتعدّد انتماءاته وتراثاته؟

جواباً عن هذا السؤال، نرسم سمات المتعلّم المسيحي الذي يريده المسيح، وتريده الكنيسة، ونحدّد المخرجات التي سيسفر عنها المنهج المعتمد، ومنها، على سبيل المثال، - ملتزم الشهادة لإيمانه في رعيته ومحيطه. استناداً إلى الرؤية والرسالة، وسمات المتعلّم وصورة الخريج، يمكننا وضع أهداف منهج التعليم المسيحي ببعده الرعوي ومحتواه وكفائاته. أكتفي هنا بالتنكير بالكفايات المتقاطعة والبينية العابرة للمواد الدراسية المنفصلة: التواصل، التفكير الناقد، التفكير الإبداعي، العمل التعاوني، توظيف استراتيجيات التعلّم.

أما الأهداف الخاصة وتفاصيل المحتوى فيضعها الخبراء، ولا بدّ في ذلك من مراعاة بعض القواعد المستمدّة من علم هندسة المناهج ومن نقد تطبيق المناهج السابقة:

- ألا يكون المحتوى كثيفاً ومتقلاً بكمّ كبير من المعارف والمعلومات: لا بدّ للمنهج من أساس معرفي مشترك منتخب ومحدّد (socle commun)، يراعي المبدأ "فلنتعلم أقل ولكن أعمق وأفضل". ولا بدّ للمحتوى أن يكون متوازناً فيه معارف، ولكن فيه أيضاً مهارات ومواقف سلوكية، وقيم عملية تتلاءم مع البعد الرعائي لهذا المنهج والدعوة الى الالتزام في حياة الرعية والكنيسة. إنّ مثل هذا المحتوى يخاطب المتعلم " بلغة العقل ولغة القلب ولغة اليدين"، ويدفعه الى كسر الانغلاق، والانطلاق خارج الحدود المرسومة نحو الآخرين، كما يقول قداسة البابا فرنسيس. ويدعو قداسته إلى أن يكون في المحتوى مكان للفن والبيئة والخدمة الاجتماعية والرياضة.
- ولا بدّ لهذا المنهج من وضع الكتاب المقدس والليتورجيا والصلاة في مكان الصدارة: مهمّ أن نتكلم عن الله والأهمّ أن نصغي إليه ونتكلم معه، وأن ننغرس في ليتورجيتنا التي هي تجلّي الله بالروح القدس في خصوصية لغتنا وثقافتنا وتراثنا وأرضنا. خميرة الإيمان واحدة غير أنها توضع في عجنات متنوعة لكل منها فرادتها وخصوصيتها ونكهتها. يقول شارل مالك في شهادة عمر " أوّمن بالكتاب المقدس وأعيش فيه، وأشفق بمحبة يسوع على العائشين في غيره. سيبقى الكتاب المقدس ما كان عليه دائماً في التاريخ: كتاب الكتب. وأحتفي بالليتورجيا: ما أجمل وأعمق الليتورجيا في الكنائس الشرقية! هي التي حفظت الإيمان عبر الشدائد في التاريخ". وفي هذا الصدد، يقول العلامة المونسنيور ميشال الحايك: " حين أصاب التفكك وظنهم الصغير لم يبق للموارنة من وطن يسكنونه سوى الليتورجيا". أعطوني متعلمين يحبون ليتورجيتهم ويغتنون منها، ويشربون من ينبوعها الحي، وخذوا خريجين يحملون الهوية المسيحية التي نريدها والتي تُرضي قلب الرب. وأشار هنا إلى أهمية تضمين منهج التعليم المسيحي نصوصاً وسيراً من آباء كنيسة وقديسين وشهداء مشرفيين طالعين من أرضنا وتراثاتنا، وأشار أيضاً الى أهمية ارتباط الليتورجيا والتعليم المسيحي باللغة الوطنية الرسمية وهي لغتنا العربية، مذ أقدم العلامة البطريرك اسطفان الدويهي، كاتب "تاريخ الأزمنة" و"منارة الأقداس" وغيرهما، على وضعنا أمام رسالتنا في هذا الشرق، وضرورة أن نكون خميرة في عجنته نشاركه لغته وثقافته ومصيره. وبالطبع هذا لا يتناقض في شيء مع تعلقنا بالسريانية وحرصنا عليها لغة طقسية، وجزءاً أصيلاً من هويتنا غير الأحادية الغنية بأبعادها ومكوّناتها.
- ولا بدّ لمنهج تعليم مسيحي لأبناء المدى الأنطاكي والمشرقي، على اختلاف انتماءاتهم، إلا أن يكون مسكونياً في رؤيته وأبعاده، تجاوباً مع وصية السيد المسيح "ليكونوا واحداً... فيعرف العالم أنك أنت أرسلتني". يترجم هذا المنهج برؤيته المسكونية تصميمنا على إعادة بناء الأخوة، وعلى عيش الوحدة في التنوع. أما وحدنا دم الشهداء وشجاعة المعترفين ووجع النازحين فلمسنا أن قدرنا واحد، وأن العناية زرعنا في هذه الأرض، ووحده الله سيد التاريخ، هو ضمانه وجودنا ورسالتنا وشهادتنا؟
- وامتداداً لمنهج مسكوني الرؤية والممارسة، لا بدّ أن يكون المنهج نابعاً من الإيمان بانغراسنا في واقع التعدّد الديني، وبخاصة الشراكة بين المسيحيين والمسلمين، في مواطنة حاضنة لهذا التنوّع الديني، ترسخ العيش معاً، وتعتبره نعمة لا نقمة. وما تقوم به مؤسسة "أديان" في هذا الاتجاه، على صعيد المشاركة في بناء المناهج الجديدة، ومنها التربوية

الوطنية والفلسفة، وفي تأليف أدلة لتعليم القيم المشتركة قي الإسلام والمسيحية، يبشّر بكثير من الخير والاطمئنان. يقول ميشال الحايك: "من موقعنا الروحي في هذا الشرق، سلّمنا مهمة شاقة هي مجموع الهموم، ألا وهي الوساطة في أعظم صراع عرفه التاريخ. فنحن مكلفون باسم المسيحية جمعاء، بمواجهة الاسلام الذي هو بالنسبة إلى المسيحية كما هي بالنسبة إليه، أضخم تحدٍ روحي واجهته على طول الأزمنة وأشمل الأمكنة. على نتائج هذا اللقاء السلمي السليم وحده، يتوقف مستقبل عهد انساني أبعد من كل التصورات".

ومن العلامات الفارقة في هندسة المناهج الجديدة الخيار الواضح والصريح باعتماد بيداغوجيا الدمج لا الفصل أو العزل. فالمنهج لذوي الاحتياجات الخاصة على اختلاف إعاقاتهم ومجروحيتهم وليس موجّهاً لنخبة معينة أو مميّزة. يقول قداسة البابا فرنسيس: "هؤلاء الأشخاص مجروحون في إنسانيتهم، وإذ إنّنا ننال خلاصنا من جراح رجل مات على الصليب، يمكن للمربين أيضاً أن ينالوا الحكمة من جراح هؤلاء الأشخاص". ويذهب قداسته إلى أبعد من الدعوة إلى الدمج، فيناشد المربين هدم الجدران " لا يمكن أن نربي داخل الجدران: جدران ثقافة انتقائية أو جدران قطاع اجتماعي يعيش رفايته". ويدين قداسته بشدة التربية التي تعزل وتقسّم، يقول: "إن التربية قد أصبحت إنتقائية وللنخبة، ويبدو أن التربية لم تعد من حق الجميع". وهذا الموقف يعني بوضوح أهمية التزام مبدأ "التربية للجميع" الذي نادى به اليونسكو ومبدأ "الزامية التعليم الأساسي ومجانيته" الذي تبنته ورشات المركز كما سبق وذكرنا. وقد كان مجمع اللويزة عام 1936 طليعة الداعين إليه، قبل الثورة الفرنسية، والدعوات إلى ديمقراطية التعليم. وهكذا في مقابل تجاهل مبدأ تكافؤ الفرص، شهد ظاهرة اتساع الهوة بين المدارس: مدارس للأغنياء ومدارس للفقراء، مدارس نخبوية في المدن ومراكزها ومدارس ريفية نائية، أو منتشرة في ضواحي المدن. ومن منا لا يذكر ما قام به البطريرك الياس الحويك، كبير مؤسسي لبنان الكبير، من جهود نوعية لنشر المدارس في الأرياف، مؤسساً لذلك راهبات العائلة المارونية المقدّسة، ومنتدبا إياهن لهذه المهمة الإنمائية؟

- أدرك جيداً معاناة الإدارات والمعلمين في مدارسنا، بسبب انعكاسات إقرار سلسلة الرتب والرواتب. أتابع أخبارها، ويدي على قلبي، خشية من رؤية شركاء المشروع التربوي الواحد على حافة المواجهة والصراع والتنافر. في كل المدارس الكاثوليكية التي عرفتها من داخل، وانتميت إليها، كنا نتكلم عن عائلة المدرسة وجماعة المربين، لا عن مجموعة موظفين في مؤسسة. أعرف أن الموضوع ضاغط ومعقد لا يعالج بعجالة. غير أنني أذهب إلى أصل المشكلة، لأذكر بمسؤولية الدولة عن الزامية التعليم الأساسي التي تعني مجانيته أيضاً، وتحمل أعبائه، لأنه إنماء منتج، لا غير منتج، كما كان يحلو لأحد رؤساء الوزارة السابقين أن يردّد، داعياً إلى الخصخصة، وتفريغ القطاع العام من أكبر عدد ممكن من الموظفين. مطالبة الدولة بمسؤوليتها عن التعليم الالزامي المجاني مطلب حق وطبيعي، ومعمول به في غالبية الدول الغنية والفقيرة. وإذا لم يطبق بعد عندنا، بسبب تغليب المصالح الخاصة على الصالح العام، وبسبب الهدر المخجل، ولدي أرقام مخيفة عنه في القطاع التربوي، ولأننا دولة منهوبة وراحة تحت مديونية عالية، وليست دولة فقيرة. ولكن حتى إحقاق الحق في تكافؤ الفرص، وتوفير التعليم للجميع، لا حلّ أماننا سوى الحوار المسؤول على قاعدة "شركة ومحبة"، بروحية المشاركة القادرة على تخطي المشاكل الكبيرة التي تهدد التربية النوعية في مدارسنا.

2- طرائق التعلّم وأساليب التقويم

التوجّه الواضح في تطوير المناهج هو نحو طرائق تعلّم تفاعلية ناشطة، استناداً إلى النظرية البنائية في التربية، وهي تقول بأن المعرفة ليست بضاعة جاهزة تنقل بالحفظ والتلقين، بل هي معرفة مركّبة تبنى في وضعيات محفزة: حلّ المسائل، التعلّم بالمشروع، التعلم التعاوني، تمثيل الأدوار، التعلم بالقصة والمثل، التعلم بالنشاطات الاستكشافية اللاصفية... وقد تعلمت من المعلم الأعظم في الإنجيل أفعال الطرائق الناشطة: في الحوار مع تلميذي عماوس لحل مشكلة إحباطهما، في الحوار مع السامرية، في سؤال التلاميذ: من يقول الناس إنني هو؟ وفي الأمثال والقصص الرائعة "ببساطتها البليغة"، كما يصفها إريك اورباخ. إنّ الجزء الأكبر من التعرّف في تطبيق خطة النهوض عائد إلى عدم الجدّية في بناء وضعيات تعليمية محفزة على التفكير الشخصي والإبداع والمبادرة. وللمناسبة أنا أدعو، في أنشطة التعليم المسيحي اللاصفية، إلى اعتماد مشروع خدمة المحبّة، على غرار مشروع الخدمة الاجتماعي الذي تمّ اعتماده وتطبيقه في تعلّم مواد الاقتصاد والاجتماع... وقد دعا قداسة البابا فرنسيس المرابين إلى الخروج من جدران المدرسة إلى المخاطرة واتخاذ مبادرات إبداعية ومبتكرة، والخروج على الدروب السهلة المطروحة، وفتح التعلّم على الحياة... ونضيف أيضاً في معالجة المشاكل المالية الطارئة بسبب كلفة سلسلة الرتب والرواتب.

أما أساليب التقويم فهي معروفة بأنواعها الثلاثة: التشخيصي والتكويني والختامي. ولكن ما طغى على ممارسة التقويم هو هم العلامة والامتحان وقياس المعارف. وكان الغائب الأكبر التقويم التكويني، حيث يتعلّم التلميذ أن يتعلّم، وكيف يحلّل الخطأ ويتعلّم منه... وكشفت لي أطروحة بحثية حول التقويم التكويني أشرف عليها، أهميّة تدعيم التقويم التكويني بالتكنولوجيا: هناك تطبيقات سهلة ومجانية على الوتساب في الهاتف الخليوي تسمح بتفعيل التواصل عن بعد بين المعلم والمتعلمين، لممارسة أنشطة تقويمية تكوينية محفزة.

ومن التوجّهات الحاسمة في ممارسة التقويم ضرورة أن يكون لكل متعلّم ملفّ تقويم شخصي، يرتّب فيه ما يقوم به من مبادرات ومواقف سلوكية مع الأهل في البيت، ومع المحيط الاجتماعي في الحياة العامة (الرعية، البلدية...) لخدمة المحتاجين، وما ينجزه من إبداعات شخصية تعبيراً عن إيمانه، باللغة أو الرسم أو الموسيقى... ومن المقترحات التي قدّمها في المؤتمرات والورشات المتعلقة بتطوير المناهج، الدعوة إلى إنشاء مؤسسة مستقلة للتقويم، تضع الاختبارات المقنّنة والمعايير المجريّة، وتمرّرها في المدارس أو في عينة ممثلة منها، ونتائج هذا التقويم الخارجي تسمح بقياس المكتسبات الفعلية من معارف ومهارات ومواقف، وتعطي صورة واقعية عن الأداء يستفيد منها المعلمون والمدارس ومؤلفو الكتب وواضعو المنهج أيضاً. أتمنى أن يُقدم مكتب الأمانة العامة للمدارس الكاثوليكية على إنشاء لجنة للتقويم الخارجي، وسيرى أن لها مردوداً تربوياً كبيراً.

3- مستلزمات ما قبل التطوير ومستلزمات التنفيذ والتطبيق

- أول مستلزمات ما قبل التطوير هو تأليف لجنة للتخطيط المدروس في شراكة وتشاور بين المدارس، وبين شركاء المشروع التربوي: الإدارة، المعلمون، الأهل، التلامذة. على هذه اللجنة تقع مسؤولية رسم استراتيجيات العمل، وإعداد المشاركين فيها، وتحديد مهامهم.
- وثاني المستلزمات إجراء بحث استطلاعي ميداني لواقع المتعلمين، لرصد تصوراتهم وانتظاراتهم وحوافزهم، ونقاط قوتهم ونقاط ضعفهم... واستطلاع آراء سائر المعنيين بالمنهج من أطر تربوية ومعلمين وأهل. نتائج هذا البحث ومعطياته مفيدة جداً لرسم الأهداف والمحتوى بكل عناصره...
- وثالث المستلزمات تجريب عينة مختارة من المنهج المزمع اعتماده، في عدد من الصفوف من مدارس متنوعة، من حيث الموقع الجغرافي والمستوى ونوع المدرسة. فالنتائج التي يسفر عنها حاسمة في دوزنة المحتوى، وتصويب الاختلالات، وقياس درجة التفاعل والدافعية. وهذه التغذية الراجعة تخدم الصياغة النهائية للمنهج، وتسمح بتعميمه، والحدّ من مخاطر تعثره.

أما **مستلزمات التنفيذ والتطبيق** فننتوقف على اثنين منها:

- الأول تزويد المعنيين بالمنهج بأدلة كافية، ذات معايير واضحة في تعريف المصطلحات، وفي تأليف الكتاب، وغيره من الموارد، وفي شروط استخدام ناجح لطرائق التعلّم وأساليب التقويم. في غاية الأهمية أن يتكلم العاملون في تصميم المنهج لغة مشتركة واحدة وواضحة.
- والثاني إعداد المعلمين وتدريبهم، ومرافقتهم من قبل مشرف مختصّ أو منسّق، وتقويم أدائهم لتحسينه باستمرار. إنّ الثغرة الكبرى التي أحدثت أخطر الاختلال في تطبيق المناهج هي عدم إعداد المعلمين إعداداً أساسياً، في كليات أو معاهد متخصصة في التربية. إن امتلاك المادة التي نريد تدريسها لا يكفي أبداً لتعليمها، والنجاح في المهمة: إعداد المعلم إعداداً أساسياً هو، بالطبع، إعداد في المادة (اللاهوت أو الرعايات...), ولكن لا بدّ من تكوين للمعلّم أعمق وأوسع، وتزويده بأساسيات علوم التربية: من علم نفس تربوي، وعلم اجتماع تربوي، وتربية مواطنة، وفي طرائق التعليم وأساليب التقويم. وتكوين المعلّم يوزّع بين الجامعة (الوجه الأكاديمي) وبين المدرسة، حيث يتمّ التدريب العملي بإشراف الأستاذ الجامعي.
- وحده هذا الإعداد المنهجي المتكامل يشكّل ضماناً لنجاح العملية التربوية. أما التدريب الظرفي، أيّ تكن مدّته ومحتواه، فليس كافياً لتكوين معلّم قادر. ووحده المعلّم المعدّ جيداً قادر على الاستفادة من الدورات التدريبية التي لا بدّ منها، لما في التربية من مستجدات على صعيد المحتوى، كما على صعيد أساليب التعليم والتقويم.
- في إحدى توصيات اليونسكو هذا التنبيه إلى أهمية إعداد المعلمين: "ليس بإمكان أيّ كان أن يكون معلّماً، وليس التعليم مهنة يمكن أن يتعاطاها أيّ كان". أما عن دور المعلم في ترقية المجتمع وتنميته فيقول روي سينغ: "لا يمكن لأيّ نظام تعليمي أن يرتقي أعلى من مستوى المعلمين فيه". في مقابل دعوة اليونسكو إلى تمهين التعليم واعتباره مهنة مرموقة، جديرة أن تجتذب أفضل المواهب الشابة إليها، أرى أن مهنة التعليم مأزومة، فقدت الكثير من وهجها لأسباب عديدة أبرزها بدعة التعاقد للتسلّل إلى كادر التعليم، وتدني الأجور وتآكل قيمتها الشرائية، ما جعلها غير قادرة على

استهواء المميزين والقادة ومحبي التعليم - الرسالة، لا التعليم - الوظيفة. وراء كل سيرة نجاح في مجالات المجتمع، فتشوا عن معلم متميز، ورسول زرع نفسه في متعلميه، كما فعل المعلم يسوع مع رسله وتلاميذه، وكما فعل رؤاد النهضة في لبنان من المعلم بطرس البستاني إلى رشيد الشرتوني ومارون عبود وعمر فاخوري وفؤاد افرام البستاني وغيرهم ...

خاتمة: تساؤل وقلق ورجاء

في عودٍ على بدء وإلى الكلام على "التربية اليوم وغداً. شغف يتجدد"، نتساءل هل ما زال الشغف موجوداً ومتجدداً في التربية عندنا؟ وأمام الشخ في الإنفاق على التربية في الموازنة العامة، وفي الدعم الخارجي المقنن والمثقل بالشروط (وكان المانح يقدم رجلاً ويؤخر أخرى)، وأمام النزف المستمر في جسم التربية، جزاء الهدر، والتناول على المال العام، وأمام التدني المتفاقم في مستوى بعض المعلمين وحوافزهم وأدائهم، نتساءل أيضاً: هل مهنة التعليم ما زالت مرموقة وقادرة على اجتذاب أصحاب المواهب المميزة؟ ويتحول التساؤل قلقاً أمام انزلاق بعض مدارس الطوائف نحو الإنغلاق على الذات، في جزر منعزلة تهدد المواطنة بالتشطي، وأمام اتساع الهوة بين الفقراء والأغنياء في مدارسنا، وأمام البطء والجمود أحياناً في وتيرة العمل على تحديث التعليم وتطوير مناهجه... هل يعني ذلك أن القلق بدأ يغلبنا، ويدفعنا إلى شيء من اليأس؟ معاذ الله! إذا كان من قلق مشروع عندنا، فليكن من ذلك القلق الذي يسميه كيركغارد "حارس النوعية"، لأنه يوقظ الوجدان الساهر، ويحمي الوعي من السقوط في الغفلة. أسارع إلى القول: لا يأس ولا إحباط في كتاب المري الحق، لأنه قياسي ورجائي، ومنذور على اسم الرجاء... الأمل قد يخيب، أما الرجاء فلا يسقط أبداً. بالرجاء خرجنا من إحباط التسعينات معلنين في السينودس من أجل لبنان: "المسيح رجاؤنا..."، وبالرجاء افتتحنا نصوص المجمع البطريركي الماروني بالنص - المفتاح "كنيسة الرجاء". وباسم هذا الرجاء، باقون على إيماننا بأن مدارسنا الكاثوليكية، أو غالبيتها العظمى على الأقل، ستظل واحات "شركة ومحبة"، في خدمة تنمية بشرية وروحية مستدامة، لا تتوخي الربح. ولكن ختاماً، ما معنى أن نرجو؟ أي معنى ذلك أن نتوهم ونحلم؟ بالطبع لا، أن نرجو يعني أن نفحص ضميرنا، في ممارستنا التربوية، على أمانتنا للإنجيل. " أن نرجو يعني أن نلتزم" كما كان يرّد الخوري العالم والقديس الصديق داود كوكباني، رحمة الله عليه، والسلام.